يقول ديكارت:

لست أدري هل يجب عليّ أن أحدثكم عن التأملات الأولى التي تيسّرت لي هناك[1]، لأن في هذه التأملات من كثرة التجريد[2] والبُعد عن المألوف ما يجعلها غير موافقة لذوق جميع الناس. ومع ذلك فإني أجد نفسي بوجه ما مضطرًّا إلى التحدث عنها, حتى يستطاع الحكم على الأسس التي اخترتها هل هي ذات متانة كافية. لقد لاحظت منذ زمن أن المرء محتاج في بعض الأحيان، فيما يختص بالأخلاق، إلى الأخذ بآراء يعلم أنها غير يقينية، ولكنه يتبعها مع ذلك كما لو كانت يقينية، وقد سبق القول في ذلك. ولكن لما كنت إذ ذاك راغبًا في التفرغ للبحث عن الحقيقة، رأيت أنه يجب عليّ أن أفعل ضد ذلك تمامًا، وأن أعتبر كل ما أستطيع أن أتوهم فيه أقلّ شك باطلًا على الإطلاق، وذلك لأرى إن كان لا يبقى لديَّ بعد ذلك شيء خالص من الشك تمامًا. وهكذا فإني، لما رأيت أن حواسنا تخدعنا أحيانًا، فرضت أن لا شيء هو في الواقع على الوجه الذي تُصوّره لنا الحواسّ. وكذلك لما وجدت أنَّ هناك رجالًا يخطئون في استدلالاتهم، حتى في أبسط مسائل الهندسة، ويأتون فيها بالمغالطات، وإني كنت عرضة للزلل في ذلك كغيري من الناس، اعتبرت باطلًا كل استدلال كنت أحسبه من قبل برهانًا صادقًا. وأخيرًا، لما لاحظت أن جميع الأفكار، التي تعرض لنا في اليقظة، قد ترد علينا في النوم، من دون أن يكون واحد منها صحيحًا، عزمت على أن أتظاهر[1] بأن جميع الأمور التي دخلت عقلي لم تكن أصدق من ضلالات أحلامي. ولكني سرعان ما لاحظت، وأنا أحاول على هذا المنوال أن أعتقد بطلان كل شيء، انه يلزمني ضرورةً، أنا صاحب هذا الاعتقاد، أن أكون شيئًا من الأشياء. ولما رأيت أن هذه الحقيقة: أنا أفكر، إذن أنا موجود، هي من الرسوخ بحيث لا تزعزعها فروض الريبيين[2]، مهما يكن فيها من شطط، حكمت بأنني أستطيع مطمئنًّا أن اتخذها مبدأ أول[3] للفلسفة التي كنت أبحث عنها.

المصدر: رينه ديكارت، **مقالة الطريقة لحسن قيادة العقل وللبحث عن الحقيقة في العلوم**، ترجمة وتقديم جميل صبيبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، ط. 3، بيروت، 2016، صص. 134- 136.